

الحرّيات السياسية في الإسلام

د. مصطفى ديب البغا

أستاذ في قسم الفقه وأصوله

كلية الشريعة والقانون والدراسات الإسلامية

جامعة قطر - الدوحة

المعنى اللغوي للحرية:

في مختار الصحاح: الحر ضد العبد، وحرّ الوجه: ما بدا من الوجنة، والحرّة الكريمة، والحرير: نوع من الثياب، وحرّ الرجل يحرّ حرّة من حرية الأصل، وتحرير الكتاب وغيره تقويمه. وتحرير الرقبة عتقها، وتحرير الولد: أن تفرد له طاعة الله وخدمة المسجد. أقول ومن هذا المعنى جاء في القرآن الكريم على لسان امرأة عمران أم مريم عليهما السلام: ﴿رب إني نذرت لك ما في بطني محررا فتقبل مني إنك أنت السميع العليم﴾ (آل عمران، الآية 35).

وفي القاموس إضافة لما سبق من معان: "حرّي: خيار كل شيء، والحرية: الفعل الحسن، حرّة السحاب: الكثيرة المطر، والأرض اللينة الرملية، ومن العرب أشرافهم". ونستخلص من هذه المعاني: أن الحرية في أصل اللغة تعني: الانطلاق، والشرف، والكرامة، والنفاسة، والاستقامة، وفعل الخير، والعطاء الكثير، والمرونة، والخدمة النبيلة.

المعنى الشائع للحرية:

من خلال المعاني المذكورة نفهم ماذا تعني الحرية حين تطلق على الألسنة في كل ميدان في هذه الأيام، ونقول: هي أن للإنسان أن يختار ما يشاء من سلوك في قول أو فعل أو اعتقاد،



الحرية السياسية في الإسلام

دون أن يرهب أحدا من الخلق، أو يتأثر بضغط أو يمارس عليه إكراه، طالما أن تصرفه ضمن قواعد وضوابط تحقق النبل والارتقاء، وتعود بالنفع على الفرد والمجتمعات.

الحرية حق طبيعي للإنسان:

وهذه الحرية بالمعنى السابق هي حق طبيعي لهذا الإنسان الذي أكرمه الله سبحانه، فجعله خليفة في الأرض واسجد له ملائكته، ليعمرها ويطهرها ميزان الحق والعدل قال ﷺ: ﴿ولقد كرّمنا بني آدم وحملناهم في البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلاً﴾ (الإسراء، الآية 70).

وقال سبحانه: ﴿وإذ قال ربك للملائكة إني جاعل في الأرض خليفة﴾ (البقرة، الآية 30)، وقال: ﴿وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا﴾ (البقرة، الآية 34). وقال ﷺ: ﴿هو أنشأكم من الأرض واستعمركم فيها﴾ (هود، الآية 61). وقال ﷺ: ﴿وأنزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط﴾ (الحديد، الآية 25).

فهذه القيم الرفيعة لا يمكن أن يقوم بها هذا الإنسان ويحققها، وهو مستذل صاغر مستعبد، بل لا يمكن تحقيقها إلا إذا كان حراً طليقاً على فطرته أياً.

ضوابط وقيود:

على أن هذه الحرية هبة من الله سبحانه لا تعني أن يلقي الحبل على الغارب، بحيث تتقلب إلى عبث فينحرف هذا المخلوق المكرم عن فطرته، ويعيث في الأرض الفساد.



د. مصطفى ديب البغا

ومن هنا كان رمز هذه الحرية وعنوانها التكليف منذ النشأة الأولى لهذا الإنسان، فالله سبحانه خلقه، وبعد أن أعلمه منزلته بسجود الملائكة له أسكنه جنته، وأباح له أن يتنعم بكل ما فيها من عيش رغيد، بقيد أن لا يقرب شجرة معينة، وأخبره بأنه إن تجاوز الحد الذي وضع له ظلم نفسه.

قال ﷺ: ﴿وقلنا يا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة وكلا منها رغدا حيث شئتما ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين﴾ (البقرة، الآية 35).

ومن الضوابط الهامة لهذه الحرية أن لا يكون سلوك هذا الإنسان تابعا لهواه فينحط به عن الموقع اللائق الذي وضعه فيه، فيفقد أسباب تكريمه وتفضيله؛ وقال تعالى مخاطبا نبيه داود عليه السلام: ﴿يا داود إنا جعلناك خليفة في الأرض فاحكم بين الناس بالحق ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله﴾ (ص، الآية 26).

ولا سيما المسلم هو أحد أفراد هذه الأمة التي رفع الله تعالى من شأنها حين قال فيها: ﴿كنتم خير أمة أخرجت للناس﴾ (آل عمران، الآية 11) وقال: ﴿وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا﴾ (البقرة، الآية 143).

وقد حذر الله ﷻ هذا الإنسان من الانتكاس، فقال سبحانه: ﴿لقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم، ثم رددناه أسفل سافلين﴾ (التين، الآية 54) وسبيل الحماية من هذا الانتكاس الإيمان والاستقامة: ﴿إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات فلهم أجر غير ممنون﴾ (التين، الآية 6).



الحرية السياسية في الإسلام

وكذلك من ضوابط هذه الحرية أن يكون تعامل الفرد مع أبناء جنسه في الوجود بحيث تتحقق هذه الحرية لكل فرد من أفرادها، دون تجاوز أو فوضى أو فساد، فالحرية حق ومنحة من الله تعالى لكل آدمي، وليست محاباة لفرد أو فئة من الناس: ﴿يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا﴾ (الحجرات، الآية 13)، ﴿يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة﴾ (النساء، الآية 1).

فليس هناك فئة من البشر ممتازة وفئة منحطة، ﴿كلكم لآدم ولآدم خلق من تراب﴾. بل الجميع أجزاء من جسد واحد، وكل منهم لبنة من البنات بناء متماسك: ﴿مثل المؤمنين في توادهم وتعارفهم وترحمهم مثل الجسد الذي اشتكي منه عضوا تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى﴾، ﴿المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً﴾.

الحرية السياسية:

لعلني أطلت في التمهيد للعنوان الرئيسي في هذه المداخلة، ولكن المقدمات لها أهمية كبيرة في وضوح الغايات، ولا سيما إذا كانت الغايات مبنية على تلك المقدمات، فأقول بناء على ما سبق:

الحرية السياسية تعني: أن يشارك المواطن المسلم أولي الأمر بالرأي في سياسة البلاد وفي إدارتها في مختلف جوانب الحياة: بدءاً من اختيار أولي الأمر أنفسهم، إلى اختيار ذوي الولايات المتعددة تحت سلطان ولي الأمر الأعلى، إلى كل نشاط يعني المجتمع المسلم: ومن عقد اتفاقيات مع الأمم المسالمة، أو إعلان حرب على عدو، أو توجيه خلقي أو اجتماعي، أو



جمع المال وإنفاقه، إلى غير ذلك من أمور جلى يتطلبها قيام الدولة الإسلامية والمجتمع المسلم.

الحرية السياسية قوام المجتمع وقوامها الشورى:

فهي أسس صلاح الحكم وقوة الدولة وحفظ كيان الأمة، ولذلك لا بد من أن يكون الأمر شورى ي اختيار الحاكم أو لا حتى يشعر الحاكم أنه وصل إلى سلطة بفعل الأمة وإرادتها وحسن مشورتها، عملا بقوله تعالى: ﴿والذين استجابوا لربهم وأقاموا الصلاة وأمرهم شورى بينهم ومما رزقناهم ينفقون﴾ (الشورى، الآية 38). وهكذا نجد أن الله تعالى قرن بين الاستجابة له وهو الإيمان به، الذي هو أساس كيان المسلم، وبين الناس إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة، الذين هما ركنان هامان من أركان الإسلام، وبين الشورى، فهي صفة ذاتية في كيان المجتمع المسلم. والأسوة في هذا رسول الله ﷺ الذي أمره ربه أن يشاور أصحابه في أمورهم الهامة فقال سبحانه: ﴿وشاورهم في الأمر﴾ (آل عمران، الآية 159).

وهذا ما إنزله ﷺ في موقفه فهذا هو الغزو در وقد خرج لملاقاة العير فأفلتت منه ووجد نفسه مضطرا لملاقاة النفير وقتال أعداء الله من المشركين فوقف في أصحابه مستشيرا لهم قبل أن يزج بهم في معركة ويقول ويكرر القول: ﴿أشيروا عليا أيها الناس﴾ وما خاض المعركة إلا بعد أن أعلنت العصبة المؤمنة استعدادها التام لأن تخوض البحر وأن تجالذ الناس وراءه حتى يظهره الله ﷻ، ثم يأخذ برأي أحد أصحابه في موضع التمركز في ارض المعركة.



الحرية السياسية في الإسلام

وهامو ﷺ في غزوة أحد يستشير أصحابه في الخروج لملاقاة قريش أو البقاء في المدينة، كما استشارهم يوم خندق أن يصلح الأحزاب على نصف ثمار المدينة ثم كان الرأي من سلمان ﷺ بحفر الخندق.

وبهذه الحرية تصون الأمة نفسها من الظلم واستبداد الطغاة من الحاكم، لأنها لن تختار إلا من تعلم أنه أهل لهذه المسؤولية، ومن يعتبرون الأمة أمانة في أعناقهم، كما قال ﷺ: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ﴾ (النساء، الآية 58)، وبذلك تكون الأمة مرهوبة الجانب في المجتمعات الدولية.

مقومات الحرية في الإسلام:

أولاً: هذه الحرية ليست من حاكم أو سلطان، أو مؤسسة سياسية، وإنما حكم يفرضه شرع الله ﷻ على كل مكلف، سواء كان حاكماً أو محكوماً، فهي جزء من الدين.

فالحاكم مأمور أن يقول الحق وينصح للأمة، والمحكوم -أيما كان موقعه- مأمور أن ينصح ويقول الحق حيثما رآه، وحسبنا في هذا قوله ﷺ: "ألا لا يمتنع رجلاً هيبة الناس أن يقول بحق إذا علمه"⁽¹⁾. وقوله ﷺ: "الدين النصيحة"، قلنا: لمن يا رسول الله؟ قال: "لله ولكتابه ولرسوله وللائمة المسلمين وعامتهم"⁽²⁾.

ثانياً: كل فرد من أفراد الأمة رقيب على الآخرين فالحاكم رقيب على الأمة ليقوم العدل بينها، ويحول بينها وبين ظلم بعضها بعضاً: ﴿الذين إن مكناهم في الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ولله عاقبة الأمور﴾ (الحج، الآية 41).



وكل فرد من أفراد الأمة رقيب على الأمة أيضا: ﴿والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر﴾ (التوبة، الآية 71). كما أنه رقيب على ولي الأمة؛ فهذا رسول الله ﷺ يعطي المؤلفة قلوبهم من مسلمة الفتح مما غنمه من حربه مع هوازن، ولا يعطي الأنصار شيئا، فحزن هؤلاء وقالوا: يغفر الله لرسول الله ﷺ، يعطي قريشا ويترك الأنصار وسيوفنا تقطر من دمائهم.

فبلغ ذلك رسول الله ﷺ، فيجمعهم ويبين لهم سبب إعطاء أولئك وحرمانهم "إني أعطي قريشا أتألفهم: أما ترضون أن يذهب الناس بالأموال وترجعوا إلى رجالكم برسول الله فتطيب قلوبهم ويفرحون بمنزلتهم عند رسول الله ﷺ" (3).

وهذا سعد بن أبي وقاص ؓ يخبرنا: أن النبي ﷺ أعطى رجلا وهو جالس، وترك رجلا لم يعطه، وهو خير منهم فقال لرسول الله ﷺ يا رسول الله مالك عن فلان؟ فو الله إني لأراه مؤمنا؟ قال: أو مسلما. وكرر عليه سعد وكرر رسول الله ﷺ جوابه ثم قال له: "يا سعد إني لأعطي الرجل وغيره أحب إلي منه، خشية أن يكبه الله في النار" (4).

وهكذا نجد هؤلاء الأصحاب - رغم إيمانهم بعدالة رسول الله ﷺ، وأدبهم معهم - يبدون رأيهم بحرية فيما لم تظهر لهم فيه حكمة تصرفه ﷺ، وأما المواقف مع الخلفاء من بعده بدءا من أبي بكر ثم عمر ومن بعدهما رضي الله عنهم فمما لا يتسع لذكره المقام.

ثالثا: هذه الحرية مطلقة، يستوي فيها الرجال والنساء، ويمارسها أفراد الأمة على مختلف مستوياتهم، لا فرق بين أمير وأجير، ولا بين زعيم قوم أو فرد من أفراد الأمة.

يؤكد هذه قوله ﷺ وفعله: أما قوله فحسبنا في هذا ما رواه علي ؓ من قوله ﷺ "المؤمنون تتكافأ دماؤهم، وهم يد على من سواهم، ويسعى بذمتهم أدناهم" (5). أي يعطي



الحرية السياسية في الإسلام

العهد والأمان أقل واحد فيهم، وهذه أم هانئ رضي الله عنها تجير يوم فتح مكة بعض أحمائها، فيقرها رسول الله ﷺ، ويقول لها: "قد أجرنا من أجرت يا أم هانئ"⁽⁶⁾.

على أن هذا الإطلاق مقيد:

بأن لا يخرج المواطن المسلم عن حدود أحكام الشرع ومبادئه وآدابه، وأن لا يترتب على ممارسته لهذه الحرية السياسية ضرر بمصلحة الأمة أو الدولة، ولذا جاء النهي للمؤمنين أن تكون منهم مودة لمن يكيدون للإسلام وأهله، أو أن يكون منهم نصح لمن يحاربون الله ورسوله، أو أن يؤووا مفسدا.

قال تعالى: ﴿ لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يتوادون من حاد الله ورسوله ولو كانوا آباءهم أو إخوانهم أو عشيرته ﴾ (المجادلة، الآية 22)؛ وقال سبحانه: ﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تخونوا الله والرسول وتخونوا أماناتكم وأنتم تعلمون ﴾ (الأنفال، الآية 27).

نزلت في أبي لباب ﷺ حين طلب بنو قريظة من النبي ﷺ أن يرسله إليهم ليستشيروهم في النزول على حكم رسول الله ﷺ، فأشار بيده إلى حلقه، يعني سوف يذبحهم النبي ﷺ، فعل ذلك لأن أهله وعياله وولده عندهم، فأحس أنه خان الله ورسوله، وحلف أن يربط نفسه حتى يتوب الله عليه، فنزلت الآيات. وكذلك جاء في حديث علي ﷺ السابق الذكر: "من أحدث حدثا أو آوى محدثا فعليه لعنة الله وملائكته والناس أجمعين" والمحدث هو الذي جنى جناية يعاقب عليها، أو ابتدع بدعة تضر بالأمة.

رابعاً: من واجب أولي الأمر - وفي مقدمتهم الرئيس الأعلى في البلاد - أن يهيئ الظروف والأحوال الصالحة التي تهيئ لأفراد الأمة ممارسة هذه الحرية، وأن يحضهم على ممارستها والقيام بها.



د. مصطفى ديب البغا

وذلك يبعث روح الثقة بالنفس، ومشورتهم، والأخذ برأيهم كما سبق معنا، وأن يغرس في نفوسهم الجرأة على قول الحق، ويربيهم على أن تكون تصرفاتهم نابعة من اقتناعهم، وأن لا يعودهم على الخنوع والذل، وأنه إذا أمر بأمر فعليهم أن يلتزموه ولو كان في ذلك إضرار بهم أو مخالفة لشرع ربهم.

فهذا رسول الله ﷺ في غزوة بني المصطلق يأتيه أشرفاهم بعد انتهاء القتال معلنين إسلامهم، وقد غنم المسلمون أموالهم وذرايرهم ونساءهم، فيطلبون منه أن يرد إليهم ذلك، وكان ﷺ قد قسم الغنائم والسبي وقال لهم: "إن إخوانكم هؤلاء قد جاءونا تائبين، وإنني قد رأيت أن أرد إليهم سيهم، فمن أحب منكم أن يطيب بذلك فليفعل".

وهكذا لم يلزمهم أن يتنازلوا عن كل شيء استجابة لرغبته، فقالوا: قد طيبنا ذلك لرسول الله ﷺ لهم، ومع ذلك خشي أن يكون بعضهم قد قال هذا استحياء أو ما إلى ذلك، فقال رسول الله ﷺ: "إنا لا ندري من أذن منكم في ذلك ممن لم يأذن، فارجعوا حتى يرفع إلينا عرفاؤكم أمركم"، فرجع الناس فكلهم عرفاؤكم، ثم رجعوا إليه ﷺ فأخبروه: أنهم قد طيبوا وأذنوا⁽⁷⁾.

وهذا هو ﷺ يبعث رجلا من الأنصار على سرية من الجيش ويأمرهم بطاعته، وقد غضب هذا الأمير من الجيش لأمر ما، فأمرهم أن يجمعوا حطبا، ولما جمعوه أمرهم أن يوقدوه نارا، ثم قال لهم: أم يأمر رسول الله ﷺ بطاعتي؟ قالوا: بلى، قال: أدخلوها.

فهموا وجعل بعضهم يمسك بعضا، ويقولون: فررنا إلى النبي ﷺ من النار فمازالوا حتى خمدت النار، فسكن غضبه، فبلغ النبي ﷺ، وقال: "لو دخلوها ما خرجوا منها إلى يوم القيامة، الطاعة في المعروف"⁽⁸⁾.



الحرية السياسية في الإسلام

وهكذا يعلمهم أن يكونوا جريئين لأن يرفضوا أمرا يؤمرون به مخالفا لشرع الله ﷻ، كيف لا؟ وهو الذي يقول لهم: ﴿من رأى منكم منكرا فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان﴾⁽⁹⁾.

وهذا هو ﷺ ينسى في صلاته ويسلم من ركعتين في صلاة رباعية فيقول له ذو اليمين: أقصرت الصلاة أو نسيت يا رسول الله؟ فيقول ﷺ: "لم أنس ولم أقصر" فيكرر عليه أنه قد نسي حتى سأل القوم وتأكد من ذلك فعاد إلى الصلاة واستدرك ما ترك⁽¹⁰⁾، وهكذا فلم تمنع هيئة الرسول ﷺ أن يراجعه ذو اليمين، والأمثلة في هذا كثيرة.

خامسا: من مقومات الحرية السياسية في الإسلام أن يتحلى أولوا الأمر في الأمة بالحلم وسعة الصدر، بحيث يسعون رعاياهم على اختلاف مستوياتهم، ويهضمون ما قد يصدر عن بعض المواطنين من رعونات وسوء خلق، قد تبدر منهم عن غير قصد، بسبب خطئهم في ممارسة هذه الحرية، التي قد لا يتفهمون حقيقتها، ولا يقفون عند حدود الأدب الذي ينبغي أن يلتزموه عندما يبدون رأيا أو يواجهون نقدا ولا بد أن يكون في الرعاية من يكون على هذه الشاكلة لأن الناس معادن كمعادن الذهب والفضة، خيارهم في الجاهلية خيارهم في الإسلام: كما قال ﷺ⁽¹¹⁾.

ولذلك هيأ الله سبحانه وتعالى رسوله أن يكون الأسوة في هذا الأمر، فقال سبحانه: ﴿لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم﴾ (التوبة، الآية 128).



وأمره أن يكون لين الجانب معهم، فقال سبحانه: ﴿فبما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك فاعف عنهم واستغفر لهم وشاورهم في الأمر﴾ (آل عمران، الآية 159)، وكان رسول الله ﷺ المثل العلمي الأسمى لذلك، فهذا هو ﷺ يقسم غنيمة فيقول له رجل من الأعراب: اعدل، فقال ﷺ: "لقد شقيت إن لم اعدل" (12) ولم يزد على ذلك.

وفي مواطن أخرى يأتيه مال فيقسمه على الناس، فيأتيه رجل فيقول له: يا رسول الله، اتق الله، فقال ﷺ: "ويلك، أو لست أحق أهل الأرض أن يتق الله" ثم ولى الرجل، فقال خالد بن الوليد ﷺ: يا رسول الله، ألا أضرب عنقه؟ قال: "لا، لعله أن يكون يصلي" فقال خالد: وكم من مصل يقول بلسانه ما ليس في قلبه؟ قال رسول الله ﷺ: "إني لم أو مر أن أنقب قلوب الناي، واشق عن بطونهم" (13).

نعم بهذا الخلق وذاك السلوك وتلك المعاملة استطاع رسول الله ﷺ بتوفيق الله تعالى أن يبنى أمة كالبنيان يشد بعضه بعضا، من لبنات كانت هشة مبعثرة: ﴿هو الذي أيدك بنصره وبالمؤمنين وألف بين قلوبهم لو أنفقت ما في الأرض جميعا ما ألفت بين قلوبهم ولكن الله ألف بينهم﴾ (الأنفال، الآية 62-63).

وبهذا الخلق العظيم كان رسول الله ﷺ لأسوة الحسنة لمن بعده من أولى المر، فضربوا أروع المثل في قيادة الشعوب، وبث ضياء العدل والحق في أرجاء المعمورة، إذ كانوا تلامذة نجباء لذلك النبي الكريم والمربي الحكيم صلوات الله وسلامه عليه.



الحرية السياسية في الإسلام

فهذا أبو بكر رضي الله عنه يقف في الناس خطيباً بعدما بويع بالخلافة يعلن لهم برنامجهم، ويضع لهم الضابط في سيرته فيهم وحكمه لهم، فيقول: وليت عليكم ولست بخيركم، إن أحسنت فأعينوني وإن أسأت فقوموني.

وهذا عمر بن الخطاب رضي الله عنه، الذي لقب بالفاروق لعدله، يستأذنه الحر بن قيس رضي الله عنه لعينه بن حصن الفزاري وهو من جفاة الأعراب، فيأذن له عمر رضي الله عنه، فلما دخل عليه بادره بقوله: هي يا بن الخطاب، فو الله ما تعطينا الجزل ولا تحكم بيننا بالعدل. فغضب عمر حتى هم به، فقال له الحر: يا أمير المؤمنين، إن الله تعالى قال لنبيه ﷺ: ﴿خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلین﴾ (الأعراف، الآية 199)، والله ما جاوزها عمر حين تلاها عليه، وكان وقافاً عند كتاب الله ⁽¹⁴⁾.

فرضي الله تعالى عن أصحاب رسول الله ﷺ الذين قال الله ﻋﻠﯿﻬﻢ فيهم وفيمن اقتفى أثرهم: ﴿رضي الله عنهم ورضوا عنه وأعد لهم جنات تجري تحتها الأنهار خالدين فيها أبداً ذلك الفوز العظيم﴾ (التوبة، الآية 100).

سادساً: ليست الحرية السياسية في الإسلام وسيلة للوصول إلى المنصب، فالمنصب مسؤولية في الإسلام: "الإمام راع ومسؤول عن رعيته" وهي في نظر المخلصين مغرم وليست بمغرم: "من سألها وكل إليها، ومن أعطاها أعين عليها" والمنصب وسيلة لإحقاق الحق وإقامة العدل، وكذلك ليست هذه الحرية يراد من ورائها أن يكون الناس شيعاً وأحزاباً يكر بعضهم ببعض، ويجرح بعضهم بعضاً، ليظهر كل منهم أنه المنقذ الأوحى وأن من سواه من الناس غشاً، فتكون التفرقة في الأمة، بل حتى في البيت الواحد، وإنما هي وسيلة من أجل أن ينصح الناس



د. مصطفى ديب البغا

بعضهم لبعض بصدق وحكمة، كما فعل الحر بن قيس رضي الله عنه، فيتلاقى كل منهم أخطاءه، ويتعاون الجميع على البر والتقوى، لا على الإثم والعدوان.

روي جرير بن عبد الله البجلي رضي الله عنه قال: أتيت رسول الله ﷺ قلت: أبايعك على الإسلام، فشرط علي: "والنصح كل مسلم" فبايعته على هذا⁽¹⁵⁾.

وبهذا تكون الحرية السياسية عامل بناء لوحدة الأمة، لا معول هدم وتفريق وتشتيت، فيرقى المجتمع المسلم ويقوى ويتماسك، وتكون الوحدة الوطنية -حسب التعبيرات المستحدثة- ويكون التعاون بين الأمر والمأمور والرئيس والمرؤوس، الكل يسعى لصالح الأمة وللنهوض بها لتكون قوية متماسكة، يتحقق فيها الهدف الأسمى في الدعوة إلى الخير، وتكون نبراس الحضارة والرفي، متمثلة لأمر الله ﷻ إذ قال: ﴿ولكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ما جاءهم البينات وأولئك لهم عذاب عظيم يوم تبيض وجوه وتسود وجوه فأما الذين اسودت وجوههم أكفرتم بعد إيمانكم فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون وأما الذين ابيضت وجوههم ففي رحمة الله هم فيها خالدون﴾ (آل عمران، الآية 104).

وعندها تكون هذه الأمة -كما أرادها الله تعالى أن تكون- لها الريادة، وفيها القيادة لشعوب الأرض، لأنها هي الأمة التي ما زال فيها المنهج الرباني محفوظا من كل تحريف أو تبديل، وما زالت فيها الحكمة النبوية تشع نورا كلما أشرقت الشمس أو غربت، ولن يكون سلام ولا أمن ولا استقرار ولا سعادة، ما دامت هذه الأمة متخلفة عن هذا الموقع الذي هو لها لا غيرها، لأنها هي الأمة التي قال الله ﷻ فيها في غيرها: ﴿كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون



بالمعروف وتنهون عن المنكر» (آل عمران، الآية 110) وقال لها: ﴿ وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ﴾ (البقرة، الآية 143).

الهوامش

- 1- أخرجه الترمذي في الفتن، باب ما جاء ما أخبر النبي ﷺ بما هو كائن إلى يوم القيامة رقم 2192 وقال: حديث حسن صحيح. وابن ماجه: الفتن، باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، رقم 4007، مستند أحمد. 5/3 من حديث أبي سعيد الخدري.
- 2- أخرجه مسلم في الإيمان، باب: بيان أن الدين النصيحة، رقم: 55. وأبو داود: الأدب، باب: في النصيحة رقم: 49044 النسائي في: البيعة، باب النصيحة للإمام رقم: 4197. عن تميم الداري. والترمذي: البر والصلة، باب ما جاء في النصيحة: رقم 1727 من حديث أبي هريرة، وغيرهم.
- 3- البخاري: الخمس، باب: ما كان النبي ﷺ يعطي المؤلفه قلوبهم، رقم: 2978، 2977، مسلم: الزكاة، باب إعطاء المؤلفه قلوبهم على الإسلام، رقم. 1059
- 4- البخاري: الإيمان، باب إذا لم يكن الإسلام على الحقيقة وكان على الاستسلام أو الخوف من القتل، رقم: 27، مسلم: الإيمان، باب: تألف قلب من يخاف على إيمانه لضعفه، رقم: 00150
- 5- أبو داود: الديات، باب: أيقاد المسلم بالكافر، رقم: 4530.
- النسائي: القسامة، باب: القود بين الأحرار والمماليك في النفس، رقم: 4734، 4735. وأخرجه ابن ماجه: الديات، باب: المسلمون تتكافأ دماؤهم، رقم: 2683 من حيث ابن عباس رضي الله عنهما.
- 6- البخاري: الصلاة في الثياب، باب: الصلاة في الثوب الواحد ملتحقا، رقم: 350، مسلم: صلاة المسافرين وقصرها، باب: استحباب صلاة الضحى، رقم: 719 مكرر.
- 7- البخاري: الوكالة، باب: إذا وهب شيئا لوكيل أو شفيق قوم جاز، رقم: 2184.
- 8- البخاري: المغازي، باب: سرية عبد الله بن حذافة السهمي، رقم: 4085.
- 9- مسلم: الإيمان، باب: بيان كون النهي عن المنكر من الإيمان، رقم: 49.
- 10- البخاري: المساجد، باب: تشبيك الأصابع في المسجد وغيره، رقم: 468.
- 11- البخاري: الأنبياء، باب، قول الله تعالى: ﴿ واتخذ الله إبراهيم خليلاً ﴾ النساء 125، رقم 3175. مسلم في الفضائل، باب: من فضائل يوسف عليه السلام، رقم 2378.



د. مصطفى ديب البغا

- 12- البخاري: أبواب الخمس، باب، ومن الدليل على أن الخمس لنواب المسلمين رقم 2969 . مسلم في الزكاة، باب: ذكر الخوارج وصفاتهم، رقم 1063
- 13- البخاري: المغازي، باب: بعث علي بن أبي طالب وخالد بن الوليد رضي الله عنهما إلى اليمن قبل حجة الوداع، رقم: 4094
- 14- وهم به ﷺ أراد أن يعاقبه وهذا أمر جبلي، حيث إنه افتري ولم يقل الحق، والمهم في أنه ﷺ وعظ من فرد من أفراد رعيته فاتعظ، والتزم أمر الله ﷻ واقتدى بنبيه ﷺ.
- 15- البخاري: الإيمان، باب: قول النبي ﷺ: الدين النصيحة، رقم: 56.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا
حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ﴾

"سورة البقرة، الآية 35"